يجري الآن بأساليب وبدع جديدة

التسول مهنة العوز والحرمان تحاكي الإرهاب وتجارة الجسد!

حينما كان التسول في السابق مهنة من لا مهنة له إنه كان يحمل اوراق اعتماده كحالة انسانية ،تعاني العوز والفقر في بلد تكتظ قاصاته لملايين والذهب، واليوم وبعدما حصل في العراق تغيير كبير في بنيته الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، فان التسول هو الاخر لم يعد مهنة من لا مهنة له انما صارت هذه المهنة ،لعبة كبيرة يديرها متعهدون تدر عليهم ارباحا من غير خسائر ويعتاش عليها المئات من الاطفال والشيوخ والنساء، وصارت مهنة التسول التي يجدها البعض الوسيلة الوحيدة لخلاصه من الفقر والعوز في بلد كان فيه (مهراجا) واحدا تحول في ليلة وضحاها الى بلد المليون (مهراجا).

□ بغداد/ فرات إبراهيم.. عدسة/ محمود رؤوف

طرق جديدة

قبالة المساجد و المطاعم، والأسواق التجارية، وعند إشارات المرور، وعلى الأرصفة، حتى عند البيوت! دائماً ما نجد متسولا، هذا أمر ألفناه واعتدنا عليه، حتى إننا سمعنا قصصاً كثيرة عنهم وقد تجد احدهم يتسول بحجة مرضه وفي يده ورقة يدعي بأنها تقرير طبي يبين حالته المرضية وقيمة تكلفته الباهظة و لو دققت فيها لوجدتها ورقة مصورة من مراجعة طبية عادية أو ورقة لصرف أدوية ولعل اغلبها أوراق مزيفة ووهمية، و البعض منهم يحمل في يده طفلا يدعي بأنه ابنه أو أخوه ويتحجج بأنه معاق أو مصاب بمرض مزمن خطر ، والكثير الكثير من القصص والأحداث الأخرى التي نعايشها بشكل يومي حتى أصبحت واقعا نعاصره و نرضخ له .

أجانب

كل ما ذكر في السابق هي طرق قديمة كان يستخدمها المتسولون لاستعطاف الناس، لكن هناك طريقة جديدة تدر عليهم أموالا أكثر، فيأتي إليك شاب بزي رسمي و ملابس أنيقة و رائحة عطر فواحة ، يخاطبك بكل أدب، ويدعي انه آتي من المحافظة الفلانية، لإتمام مهمة ما وانقطعت به الطرق أي انه عابر سبيل ويريد فقط حق أجرة الذهاب والعودة إلى محافظته.

وصل الأمر ببعض الزوار من باكستان والهند وبنغلادش إلى التجول في شوارع بغداد واستجداء شهامة العراقيين بأنه زائر الى أضرحة آل بيت الرسول، ولكنه فقد ماله وجوازه ويحلف لك بكل الأسماء المقدسة التي تعشقها وتطيب نفسك بذكرها فما يكون من المستمع سوى استنهاض روح النخوة عنده ويهب كل ما في جيبه لهذا السائل الذي أتقن حرفته بنجاح.

من اجل أطفالي

الشارع الذي تسكعت فيه (م.س) بين إشارات مروره متنقلة من منطقة إلى أخرى، فتارة في شارع السعدون ، وأخرى في الكرادة، ومرات في ساحة (٥٢) أو العرصات، هذا الشارع هو الآخر لم يتركها في حالها، ودفعها لأن تمارس أفعالا لم تكن يوما في بالها.

تقول (م.س) التي فقدت زوجها في حادث انفجار إرهابي في إحدى المحافظات، أنها وجدت نفسها دون معيل وان أطفالها الاربعة صاروا عرضة لان تتقاسمهم المجموعات الإرهابية في أعمالهم القذرة، لذلك فضلت الهرب بهم إلى بغداد لتمارس مهنة التسول وتنفق عليهم وربما تمكنها الظروف من ان تجعلهم يكملون دراستهم، لكنها تعترف بان هذا أمر صعب، تقول (ذات مرة استوقفني مجموعة من الشبان، قالوا أنهم سيعطونني مبلغا من المال إن أنا صعدت معهم، لقاء أن ألبي رغباتهم، أي أنهم يريدونني أن أبيعهم جسدي. خفت وقتها ورفضت، ورحت أصرخ في الشارع لكي يحميني الناس منهم، فتداركوا الامر و ولوا هاربين).

الطريق الى الشذوذ

هذا الموقف لم يكن الوحيد، فقد تكرر معها ومع فتيات أخريات عدة، البعض من الفتيات استجاب تقول (م.س)، وهي تروي بحسرة (لي صديقات تعرفت عليهن في الشارع، يتسولن مثلي، لكنهن لم يستطعن أن يصمدن كثيرا، البعض منهن فضلن الكسب السريع على أشعة الشمس اللاهبة، فانزلقن في عالم الدعارة، ورحن يبعن أجسادهن مقابل مبلغ من المال، وبعضهن ممن صرن خبيرات ويعملن بمبالغ أكبر).

وفي أحيان كثيرة يتوقف بعض الشباب لمعاكسة بعض المتسولات لأنهن يحملن شكلا جميلا مع صغر سنهن، تقول واحدة منهن : أن احد الشباب عرض علي أموالا وهو في سيارته من اجل أن تلامس يده جسمي ،او أن يطلب مني الصعود معه بحجة انه بحاجة إلى واحدة تنظف له شقته وتغسل ملابسه لقاء اجر معين، وتضيف أننا عرفنا هؤلاء وعرفنا أساليبهم وهم لا يفرقون بين المرأة التي تحتاج النقود لتعيل عائلتها وبين التي تبيع نفسها.

إذن البعض يطلب لذة عابرة، تقدمها فتيات لم يخلقن مومسات، ولم يكن في يوم من الأيام (بنات هوى). كن سويات كباقي أقرانهن، لكنه الفقر الذي ما دخل بلدا إلا وقال للكفر خذني معك، فهل من رجلٍ يقتله؟

مزاد على الأماكن التجارية

وتشير تقارير الشرطة العراقية إلى ان التنافس بين متعهدي التسول وصل إلى (إجراء مزايدة بينهم للفوز بالأماكن السكانية المزدحمة أو عند تقاطع الإشارات الضوئية أو بالقرب من المراكز التجارية، أو في المناطق السكنية التي تمتاز بارتفاع المستوى المعيشي لسكانها، كمناطق المنصور والكرادة والجادرية حتى وصل سعر تأجير بعض الأمكنة في المنصور والمراكز التجارية في الشورجة والكرادة وساحة اللقاء إلى خمسة ملايين دينار عراقي شهرياً، وقد اعتاد المواطن العراقي للأسف إذا ما وقف عند إحدى الإشارات المرورية أن يتجمع على السيارة مجموعة من الأطفال منهم من يقوم بمسح نوافذ السيارة أو من يبيع المحارم الورقية ويتخذون ذلك وسيلة للتسول ولكن بطريقة تكون اقرب إلى العمل والبعض من النساء تجدها وفي حر بغداد الشديد في الصيف الذي قد يصل إلى ٥٠ درجة مئوية فما فوق وهي تحمل طفلا وتتخذه وسيلة للاستجداء والتسول وهو ليس بطفلها ومن يمر بشارع معين كل يوم أو بين فترة وأخرى يجد نفس الوجوه، ويقوم المتعهد المسؤول عن تلك الجماعات بجمع محصول التسول وإذا لم يقم احد أفراد جماعته من المتسولين بجمع المبلغ التقريبي يقوم الشخص المسؤول بمعاقبته وحرمانه من الطعام وتصل أحيانا العقوبة إلى الكي بالنار أو الضرب وقد كنا نرى ذلك فقط في الأفلام المصرية ونتصور ذلك مبالغة واليوم للأسف صار ذلك حقيقة في بلادنا.

منهن فضّلن الكسب السريع على أشعة الشمس اللاهبة

وجدت نفسها دون معيل وأطفالها الأربعة صاروا عرضة لأن تتقاسمهم المجموعات الإرهابية

مزايدة بينهم للفوز بالأماكن السكانية المزدحمة أو عند تقاطع الإشارات الضوئية

اطفال عرضة للارهاب

أين حقي؟

عاهات وهمية

بين الرعاية الاجتماعية والشارع

بعض منظمات المجتمع المدني صنفت العراق في المركز الأول لظاهرة التسول وألغت أسباب هذه الظاهرة متناسية أن بلدا مثل السعودية التي تصدر أكثر من ١٢ مليون برميل يوميا ويقل عدد سكانها عن عدد سكان العراق إلى النصف، فان دراسات دولية أشارت الى أن ٣٥٪ من نسبة سكانها يمارسون مهنة التسول .

مسؤولية كبيرة تقع على عاتق مؤسسات الدولة المعنية بهذا الأمر ولأجل ان نقلص الفارق في نسبة هذه الظاهرة عن غيرنا من الدول فان أول الأشياء المطلوب التعامل معها هو الدراسة الحقيقية لواقع هذه المشكلة وان كانت عالمية ولا يخلو بلد منها ، لكن لكل بلد ظروفه ومشاكله ، فمنح بعض النسوة ممن يمتهن هذا العمل مبلغا شهريا يؤمن لها حياة كريمة لها ولأولادها قد يقلل هذه النسبة وبشكل كبير .

يقول علي (طالب كلية) لماذا تتهالك المتسولة وتضيع اغلب وقتها وقوفا في طوابير طويلة أمام وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لتنال في الأخير مبلغا لا يتعدى الـ١٠٠ الف دينار، بينما هي تقضي يومها في الاستجداء في شوارع بغداد وأزقتها وتخرج بمحصلة نهائية لا تقل عن ١٠٠ ألف دينار يوميا وشتان بين الرقمان شهريا ويوميا.

الدخل والوعي المحدود

لكن هناك العديد بل الكثير من النساء الذين يعشن وضعا سيئا رضين بمنحة الوزارة القليلة على أن تمارس الذل عبر الاستجداء لأنه لا يليق أصلا بالنساء الكريمات وأبناء العوائل الشريفة، لاسيما وان ظاهرة التسول تتعرض فيها الفتاة للمضايقات والتحرشات وقد تنجر أخيرا الى بيع شرفها مقابل مبلغ جيد من المال ، بينما يقول طالب عبد الله (موظف) لقد أدت الحروب التي تسبب بها النظام السابق الى ان تتحمل بعض النسوة مسؤوليات عوائلهن وهذه المسؤولية تجعل الكثير من النساء من ذوات الوعي المحدود والتحصيل العلمي البسيط الى الاعتماد على اسهل الطرق في الحصول على المال ومن هذه الطرق التسول حتى اصبح الأمر لديها عاديا فيما كان في السابق يعد من المحرمات وقد تم احتواء اغلبهن في بيوت تقع غالبيتها في منطقة الشورجة ولهن ضوابط وطرق معيشة وحماية من أشخاص يراقبوهن عن بعد، فيما اذا تعرضن لبعض المضايقات او النشل من قبل بعض السراق.

ندوات وحملات

نظّم مركز الدراسات التربوية والأبحاث النفسية في جامعة بغداد، ندوة علمية متخصصة عن ظاهرة التسول بهدف تحديد مفهومها وأساليب علاجها.

وقال رئيس قسم الاختبارات والمقاييس في المركز الدكتور مظفر جواد في كلمة خلال الندوة: إن إقامة هذه الندوة تأتي بهدف دراسة حالات التسول الموجودة في العراق، وإيجاد الحلول العلمية لها، وبيّن جواد ان المشكلات والأخطار التي يواجهها الأطفال كثيرة فقد يتم استغلالهم من المجموعات الاجرامية لاشراكهم في عمليات خارجة عن القانون كالارهاب والسرقة وبيع المخدرات، فضلاً عن استغلالهم جنسيا، موضحا ان هذه الظاهرة اصبح يديرها متعهدون تدر عليهم ارباحا من غير خسارة ويعتاش عليها المئات من الاطفال والشيوخ والنساء.

واوضح رئيس قسم الاختبارات ان الندوة تضمنت مناقشة عدد من البحوث الاول للدكتورة وجدان جعفر بعنوان (الاطفال المتسولين في شوراع مدينة بغداد ودوافعهم نحو التحصيل الدراسي) و(التسول مفهومه واسبابه ومعالجاته) للدكتور فائز جلال كاظم و(ظاهرة التسول الاسباب والمعالجات) للدكتورة نجية ابراهيم محمد و(ظاهرة التسول عند الاطفال) للباحثين الهام فاضل وغزة عبد الرزاق (وظاهرة تسول الاطفال) للدكتور رائد الركابي و(التشرد بين الواقع والطموح) للباحث ولي صليل الخفاجي (تسول الطفل واثره في بناء المجتمع) للدكتور رياض حسن محمد علي .

الإدمان والإرهاب

يكون هزيلا شاحبا خفيف الوزن نائما طول الوقت واذا ما كان معاقا فهذا أفضل، تلك هي اغلب المواصفات التي تفضلها المستجديات في الطرق والتقاطعات والتي تثير بها عاطفة المارة . كثيرا ما لاحظت اثناء تجوالي في شوارع بغداد ظاهرة نوم الاطفال على طول الوقت وفي مختلف الظروف ما اثار هذا الامر استغرابي ، ولكي لا تطوى فترة سؤالي نبهني احد الاشخاص ممن يمتهنون بيع المصابيح الكهربائية بالقرب من احدى النساء قائلا : عادة لا تجد اغلب تلك النساء من يعتني بأطفالهن في البيوت التي يعملن فيها فتاتي به معها ولكي لا يشغلها بالصراخ او اللعب فإنها تعطيه كل يوم شرابا منوما يؤمن لها بقاءه فترة طويلة نائما ، وبسؤالي حول تأثير عقار المنّوم على الأطفال أوضح الصيدلي بسام أنور صاحب صيدلية في الباب الشرقي أن إعطاء الأطفال كميات متواصلة من عقار المنوم يعد جناية بحق الطفولة يحاسب عليها القانون لما له من تأثيرات كبيرة في الصحة العامة لهم. وأضاف أن من بين التأثيرات الجانبية على حياة هؤلاء الأطفال هي ضعف النمو وخاصة في مراكز الجهاز العصبي والخمول وقلة الشهية للطعام وشرود الذهن وبالتالي صعوبة في الاستيعاب وعدم القدرة على مواصلة الانتباه وكثرة التململ، مما ينعكس سلبا على حياتهم في البيت أو عند دخولهم الى المدارس وكذلك يخلق لديهم الرغبة في الإدمان عند بلوغهم مرحلة النضوج.

التحول للإجرام

يرى العميد احمد من جهاز النجدة بان غالبية هؤلاء يتم استخدامهم من قبل جماعات إرهابية لزرع العبوات او القتل والتهجير ويصل الأمر – بعد أن يتناولوا حبوب الهلوسة – الى استخدامهم كأحزمة ناسفة ضد الناس الأبرياء لهذا فان دورياتنا تقوم على الدوام بمتابعة هذه النماذج ومحاولة ضمهم إلى دور رعاية الدولة تجنبا لانزلاقهم في هاوية الإرهاب والتشرد، حيث المتسول الصغير يتحول إلى مجرم عند الكبر، فالطفل المتسول عند قضاء أغلب وقته في ذلك العمل والمجتمع المحيط به يهتم اهتماما كبيرا بالمال، يصبح المال من أساسيات الحياة لديه وهدف رئيسي للحياة يعمل على الحصول عليه بأي طريقة كانت، ولا يهتم بالعواقب والطرق، فمع بلوغ الطفل تتقلص فرص التسول لديه واستعطاف الناس للحصول على المال، فلا يقبل العمل مع نظرته للمبالغ المالية المقدمة من الوظائف على أنها غير كافية وغير مجدية ليبدأ التوجه للحصول على المال بأي طريقة كانت، سواء بالسرقة أو أعمال أخرى تؤدي إلى ارتكاب الجرائم في نهاية الأمر.